مؤتمر جدة والتعاون الدولي/الإقليمي للحرب على داعش:

قراءة في المواقف التركية والإيرانية والإسرائيلية

أمجد جبريل

انعقد مؤتمر جدة العربي- التركي- الأمريكي في ٢٠١٤/٩/١١، وضم وزراء خارجية دول الخليج ومصر والأردن والعراق ولبنان وتركيا والولايات المتحدة.

ويتوقع أن يكون لهذا المؤتمر تداعيات مهمة على مجريات الأمور في المنطقة العربية وجوارها الإقليمي في ظل الأجواء المستعرة من "الحرب على الإرهاب وتنظيم داعش"، التي باتت المصطلح الأكثر رواجا في وسائل الإعلام حاليا.

ورغم ما يبدو ظاهريا من أهمية البعد العربي في التعاون الدولي/الإقليمي في الحرب على داعش، وسعي السعودية لقيادة الموقف العربي في هذا الاتجاه عبر استضافة الاجتماع في جدة، فإن هذا التقرير سيركز على تحليل المواقف التركية والإيرانية والإسرائيلية من هذا التعاون.

إن أول ما يلفت النظر في مؤتمر جدة هو توقيت انعقاده؛ فعلى الصعيد الدولي يأتي المؤتمر بعد يوم واحد فقط من إعلان الرئيس الأمريكي باراك أوباما خطته (أو استراتيجيته) بشأن مكافحة الإرهاب [١]، وبعد أيام قلائل من انتهاء أعمال قمة الناتو في ويلز ببريطانيا.

---

[١] – راجع نص خطاب الرئيس باراك أوباما على الرابط:

President Obama: "We Will Degrade and Ultimately Destroy ISIL", September 10, 2014. http://www.whitehouse.gov/blog/2014/09/10/president-obama-we-will-degrade-and-ultimately-destroy-isil

أما على الصعيد العربي، فإن مؤتمر جدة جاء بعد عدة أيام من اجتماع المجلس الوزاري العربي في مقر الجامعة العربية بالقاهرة (٢٠١٤/٩/٧).

وثمة من يشير إلى أن انعقاد مؤتمر جدة في الذكرى الثالثة عشر لهجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الولايات المتحدة الأمريكية، لا يخلو من دلالات تحوي معنى استعادة "الحرب على الإرهاب"، وإن بآليات وأدوات مختلفة تتوافق مع التغيير الذي حدث في الإقليم والعالم على مدار هذه السنوات.

أما ثاني ما يلفت النظر في مؤتمر جدة فهو أطراف هذا المؤتمر أو الدول المشاركة فيه؛ فقد عادت الولايات المتحدة سيرتها الأولى في عزل بعض ا لقوى الإقليمية والتحالف مع بعضها الآخر، في ظل حالة نشاط ظاهر للدبلوماسية الأمريكية بعد أن كلف الرئيس أوباما وزير خارجيته جون كيري بالتوجه إلى منطقة الشرق الأوسط لبناء تحالف ضد داعش.

وهنا قد يحتاج تغييب إيران عن مؤتمر جدة إلى تفسير؛ فهل تؤسس واشنطن لحلف اعتدال جديد في المنطقة هدفه إسقاط نظام بشار الأسد وإضعاف نفوذ أنصاره، أي إيران وروسيا وحزب الله وشيعة العراق؟ أم أن الهدف يقتصر على توجيه ضربة مؤلمة لتنظيم داعش على الأراضي العراقية فحسب دون التوسع إلى الأراضي السورية التي يسيطر التنظيم على مساحة لا بأس بها هناك؟

وما تفسير أن إدارة أوباما تصرفت منذ سيطرة داعش على الموصل (١٠ يونيو ٢٠١٤)، كأنها راغبة في إدماج إيران في مكافحة "الإرهاب" في العراق، ثم تغير الموقف الأمريكي مع خطاب الرئيس أوباما في ١٠ سبتمبر ٢٠١٤، الذي أعلن فيه استراتيجيته لمكافحة "الإرهاب"؟، وهل يؤشر ذلك إلى عدم وجود حلف شيعي– أمريكي كما كان البعض يتصور منذ توقيع اتفاق جنيف النووي في نوفمبر ٢٠١٣، أو حتى منذ وقوع العراق في قبضة الاحتلال ربيع ٢٠٠٣؟

فإذا كان الهدف من التحالف الجديد ضد داعش هو إسقاط نظام الأسد، فإن هذا يعني سيناريو أوسع مما يسمى "الحرب على داعش"، لأن إسقاط النظام يحتاج إلى قوات برية على الأرض ؛ فهل ستتحالف واشنطن مع الثوار المعتدلين (أي الجيش السوري الحر)، وهم الطرف الأضعف على الأرض؟ وهل سيقوم الرئيس أوباما أخيرا بدعم هؤلاء ليعزل الطرفين الآخرين القويين على

الأرض أي النظام السوري وجبهة النصرة؟ وإذا كان ذلك صحيحا؛ أي أن أوباما التفت أخيرا إلى ضرورة تقديم شئ لسنة سورية الذين كابدوا ويلات النظام العلوي- البعثي منذ عقود، فكيف سيتعامل مع سنة العراق ، وماذا سيقدم لهم بعد أن تم تهميشهم منذ احتلال العراق ربيع عام ٢٠٠٣؟

والملاحظ أن هذا السيناريو هو ما يفضله العرب والأتراك المشاركون في مؤتمر جدة . ورغم المشاركة التركية في المؤتمر ، فإن أنقرة لم توقع البيان المشترك الصادر عن المؤتمر[٢]. كما أن تركيا تتحفظ على المشاركة في أي عمل عسكري، وتكتفي بتقديم المساعدة اللوجستية (ضبط أمن الحدود، تقديم معلومات استخبارية، فتح مطاراتها لعمليات إنسانية واستقبال اللاجئين فقط)[٣].

وهذا التحفظ التركي يرجع إلى سببين: وجود مختطفين أتراك في قبضة تنظيم داعش ، وأن تركيا دأبت على النأي بنفسها عن المشاركة في أي عمل عسكري في المنطقة لأن العقيدة العسكرية الكمالية تقوم على تجنب التورط عسكريا في مستنقع الشرق الأوسط.

والواقع أن تحليل الموقف التركي من إعلان حرب دولية /إقليمية على داعش يثير تساؤلات متعددة خصوصا أن وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قام بزيارة لتركيا في ٢٠١٤/٩/١٢. وذلك بعد أيام فقط من زيارة وزير الدفاع الأمريكي تشاك هاغل ولقائه الرئيس التركي رجب طيب أردوغان. ومما يزيد الغموض بشان هذه الحرب أن أطرافا أوروبية تبدي أيضا اعتراضا أو ترددا في مسايرة التوجه الأمريكي بشأن الحرب على داعش ، وما يبدو من تباين بين مواقف فرنسا

---

[٢] – راجع: "نص البيان الختامي"، **الشرق الأوسط** ٢٠١٤/٩/١٢. على الرابط:

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=786840&issueno=13072#.VBKB6vYVAu4

[٣] – "استقبال فاتر لكيري في أنقرة مع تحفظات تركية على المشاركة في عمليات قتالية، مصدر تركي : ضبط الحدود واستقبال اللاجئين والتسهيلات اللوجستية .. أهم من المشاركة القتالية "، **الشرق الأوسط** ٢٠١٤/٩/١٣. على الرابط:

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=786976&issueno=13073#.VBQDa_YVAu4

المتحمسة، وبريطانيا المترددة، وألمانيا المعترضة والتي تطرح أسئلة عن الرؤية السياسية المستقبلية.

أما إذا كان الهدف من التحالف الجديد هو توجيه ضربة مؤلمة لتنظيم داعش في العراق دون امتداده السوري، فإن ذلك يولد أسئلة أخرى عن تداعيات هذا السيناريو الأضيق من الأول على مستقبل العراق ووحدة أراضيه . لأن ما هو واضح أن القوات العراقية النظامية أضعف من أن تخوض معركة طويلة ضد داعش، بعد السقوط المدوي لمدينة الموصل في يونيو الماضي ، وهروب هذه القوات النظامية. أما دعم الميليشيات الشيعية أو الحكومة العراقية الجديدة فلن يأتي سوى بتعزيز النتيجة السابقة، والتي تجلت على مدى حكم نوري المالكي في ثماني سنوات عجاف، أي مزيد من العزل والتهميش لسنة العراق ، مما يولد مشاعر كراهية إضافية ويعزز الشعور ب "المظلومية السنية"، التي يرى كثيرون أنها الدافع الأساسي الذي يتغذى عليه صعود تنظيم داعش وبقائه.

ويبقى هنا الخيار الأخير الذي يبدو كأنه يتحقق على الأر ض، ألا وهو دعم قوات البشمركة الكردية وتدريبها لكي تخوض هي بالأساس المعركة ضد داعش . خصوصا أن قادة إقليم كردستان وفي مقدمتهم مسعود بارزاني يعترفون بتلقي هذا الدعم، كما أشار إلى ذلك في مؤتمره الحفي مع الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند الذي زار العراق في ٢٠١٤/٩/١٢، تأكيدا لدعمه في مواجهة داعش، وتحضيرا لمؤتمر باريس الذي سينعقد في ٩/١٥.

والواقع أن أسئلة كثيرة يجب أن تطرح حول الموقف الإسرائيلي من هذا التحالف الجديد لضرب داعش؛ فإذا كانت إسرائيل غير قادرة المشاركة بشكل علني، فإنها لن تقبل أن يكون مؤتمر جدة أو الحرب على داعش مدخلا لتحقق القوى الإقليمية الأخرى أية مكاسب منها، وخصوصا تركيا وإيران وقطر. ولذا فإن الدبلوماسية الإسرائيلية بدأت تتحرك بنشاط ظاهر لكي تنقلب هذه الحرب المرتقبة وبالا على خصومها ، لا سيما في ظل ما هو معروف من قدرة الدبلوماسية الإسرائيلية على توظيف أي حرب ضد الإرهاب لخدمة مصالحها ومكانتها وسياستها الاستعمارية، كما حدث تماما بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١ التي استثمرها أرييل شارون – رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك– للقضاء على انتفاضة الأقصى.

ولا شك أن بإمكان إسرائيل في هذا السياق أن توظف الحرب الدولية/الإقليمية على داعش، لكي تنطلق الدبلوماسية الإسرائيلية في استهداف المقاومة الفلسطينية واللبنانية تحت ذريعة أنها معزولة في العالم العربي، كما تبجح رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو في مؤتمر صحفي ٢٠١٤/٨/٢٠ بالقول إن العالم العربي ضد حركة حماس، وليس معهم سوى قطر وتركيا وإيران [٤].

ويمكن أن نلمح استمرارا لهذا المسعى الدبلوماسي الإسرائيلي في تصريحات وزير الحرب الصهيوني، موشيه يعالون، الذي اتهم تركيا في كلمة أمام مؤتمر هرتسيليا للأمن (سبتمبر ٢٠١٤) بأنها تدعم الإرهاب علانية، منتقدا صبر وصمت العالم الحر على ذلك. كما تساءل عن سبب استضافة أنقرة القيادي في حركة حماس صالح العاروري وهو مهندس عملية خطف وقتل المستوطنين الإسرائيليين الثلاثة في يونيو ٢٠١٤ والتي انتهت بشن الحرب على قطاع غزة. كما ركز يعالون على دعم تركيا السياسي والمالي لحركة حماس، بينما تتمتع أنقرة في نفس الوقت بعلاقات قوية مع الولايات المتحدة، وتحتفظ بعضوية حلف شمال الأطلسي (الناتو) [٥].

وتشير بعض التحليلات هنا إلى أن إسرائيل تنوي اتخاذ خطوات مستقبلية منها، "التأكيد على مدى خطورة إيران على المنطقة والعالم، والاستمرار في تشبيه حركة حماس بتنظيم (داعش)، وشن حملة ضد قطر وتركيا، والتركيز على التناقض بين كون تركيا عضوا في الناتو وتدعم حركة حماس في الوقت نفسه . وقالت مصادر إسرائيلية إن هجوم يعالون على تركيا لم يكن

---

[٤] – رأي القدس، "هل العالم العربي ضد "حماس"؟ **القدس العربي** ٢٠١٤/٨/٢٢. على الرابط:

http://www.alquds.co.uk/?p=210096

[٥] – "إسرائيل تشن هجوما على تركيا وتتساءل عن سبب استقبالها «مهندس» خطف المستوطنين"، **الشرق الأوسط** ٢٠١٤/٩/١٠. على الرابط:

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=786633&issueno=13070#.VBBAi_YVAu4

عرضيا، وإنما بتوجيهات من بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الصهيوني الذي يسعى إلى إحداث شرخ عميق في العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة والدول الأوروبية الأخرى [٦].

وبعيدا عن الموقف الإسرائيلي، يمكن أن يضاف إلى العقبات التي تواجه هذا التحالف الدولي/الإقليمي ضد داعش، مواقف روسيا وسوريا وإيران وألمانيا، والتردد البريطاني عبر الحديث عن شكوك في موافقة البرلمان على المشاركة البريطانية في أي عمليات عسكرية.

أما الموقف العربي من التحالف الدولي/الإقليمي ضد داعش، فيمكن الاستدلال عليه بالموقفين المصري والسعودي؛ فقد جاء في كلمة وزير الخارجية السعودي في اجتماع جدة التشديد على خطر الإرهاب الذي بدأ ينتشر في المنطقة بكل شراسة، وأن العاهل السعودي حذر منه كثيرا خصوصا في خطابه أول أغسطس ٢٠١٤. كما أن الملك عبد الله بن عبد العزيز وجه رسالة لقادة العالم، عند استقباله لعدد من سفرائهم في ٢٩ أغسطس ٢٠١٤، بأهمية محاربة هذه الآفة الخبيثة بالقوة والعقل والسرعة، محذرا من أن إهمالها سوف يفضي إلى انتشارها في أوروبا وأميركا في غضون أشهر. وأشار سعود الفيصل أيضا إلى خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما وما حمله من مضامين وجدية في مكافحة الإرهاب، بما في ذلك تأكيده على ملاحقة الإرهابيين أينما وجدوا. وبشأن الدور المطلوب من السعودية في هذا التحالف قال الفيصل إن بلاده كانت هي المبادرة في ضرورة الوقوف والتصدي للإرهابيين، ولم يكن هناك أي تحفظ على الدور الذي تقوم به تلك الدول المشاركة في هذا الاجتماع، وإن تدريب الجيش السوري الحر يجري في كل الدول المجاورة، ولم أسمع أن السعودية معقل لتدريبهم".

كما حض الفيصل على التعامل مع خطر الإرهاب من منظور استراتيجي شامل لا يقتصر على دولة واحدة، بل يمتد إلى التعامل مع الإرهاب الذي يضرب بأطنابه في كل من ليبيا، لبنان، وسوريا والعراق، واليمن، التي أصبحت ملاذا للتنظيمات الإرهابية، خصوصا ما يتعلق بتدفق السلاح والعتاد إليها وفيما بينها. ولعل أكبر مثال قيام تنظيم داعش الإرهابي بإلغاء الحدود بين

[٦] – المصدر نفسه.

العراق وسوريا، والتحرك بكل حرية إلى الأراضي السورية بقواته وعتاده كملاذ آمن عند اشتداد القصف عليه في العراق. ولم ينس الفيصل الإشارة إلى أهمية محاربة "الفكر الضال" [٧].

أما كلمة وزير خارجية مصر سامح شكري في مؤتمر جدة فقد حملت إشارات إلى انتشار الجماعات الإرهابية بالشرق الأوسط حتى أصبحت خطرا ملحا يهدد حاضر ومستقبل الدول والشعوب، مما استوجب صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢١٧٠ لعام ٢٠١٤ الذي صدر تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة. ولذا فإن مشاركة مصر في اجتماع جدة إنما تأتي في إطار التزامها بقرارات الشرعية الدولية من ناحية، ولاستشعارها ضرورة تنسيق التحركات الإقليمية والدولية لمكافحة خطر زحف وتنامي الإرهاب الدولي الذي يقضى على الأخضر واليابس وأصبح يهدد مفهوم الدولة الحديثة في المنطقة لصالح إيديولوجيات متطرفة تتخذ الدين ستاراً للقيام بأعمال وحشية والتلاعب بمقدرات الشعوب [٨].

وأشار شكري إلى نجاح ثورة الشعب المصري في ٣٠ يونيو ٢٠١٤ في التخلص من حكم جماعة الإخوان التي مثلت دوما العباءة الإيديولوجية التي خرجت من تحتها الجماعات الإرهابية على مختلف مشاربها، ثم مواجهة ردود الفعل الإرهابية على هذا القرار الشعبي التاريخي والتي انعكست في العمليات التي شهدتها مصر خلال الفترة الماضية، والتي راح ضحيتها العشرات من المصريين، وما زالت مصر ملتزمة بالقضاء نهائيا على هذا الخطر. ولذا فإنه ليس من المنطق

---

[٧] – "سعود الفيصل: اجتماع جدة سيساعد على الخروج برؤية موحدة لمكافحة الإرهاب في كل مكان "، **الشرق الأوسط** ٢٠١٤/٩/١٢. على الرابط:

http://classic.aawsat.com/details.asp?section=4&article=786829&issueno=13072#.VBRShfYVAu4

[٨] – "وزير الخارجية أمام مؤتمر جدة : ليس منطقيا حشد الموارد لهزيمة داعش بينما تحجب الموارد عن مصر وهى تخوض معركة ضد ذات العدو المشترك "، من موقع الهيئة العامة للاستعلامات ت ٢٠١٤/٩/١١. على الرابط:

http://www.sis.gov.eg/Ar/Templates/Articles/tmpArticleNews.aspx?ArtID=90659#.VBRNLfYVAu4

في شيء أن نحشد مواردنا لهزيمة داعش بينما تحجب هذه الموارد عن مصر وهى تخوض معركة ضد ذات العدو المشترك على أراضيها [٩].

كما أشار الوزير سامح شكري إلى ثوابت الموقف المصري الحريص على الوحدة الترابية والسلامة الإقليمية لكل من العراق وسوريا وغيرهما من البلدان العربية، مما يتطلب تضافر الجهود في سبيل إحياء مفهوم الدولة الوطنية البعيدة عن أية تجاذبات ذات طابع مذهبي أو قومي أو جغرافي. ونبه إلى تنامي الإرهاب في المغرب العربي. وسعي جماعة "أنصار الشريعة" لهدم مفهوم الدولة في ليبيا، وهي التي اغتالت أعضاء القنصلية الأمريكية ببرقي غازي بدم بارد، وما هي إلا النسخة الليبية لذات الفكر الإرهابي بالمشرق العربي مثل داعش وغيرها . وهو ما يتطلب من منطلق التضامن في مواجهة الإرهاب الاستجابة لمطالبات الشعب الليبي المشروعة في بناء مؤسساته ودعم خياراته الديمقراطية، ومن ثم تجفيف مصادر تمويل وتسليح الجماعات الإرهابية بليبيا التي تستهدف هدم المؤسسات والسيطرة على مقدرات الشعب الليبي [١٠].

وإجمالا للمواقف العربية في اجتماع جدة، ربما يمكن القول إنه بغض النظر عن رغبات الأطراف العربية المشاركة في هذا المؤتمر، فما يبدو واضحا هو أن المنطقة العربية إزاء جهد دولي/إقليمي لإعادة تشكيل النظام الإقليمي فيها ، في ظل تراجع لأي دور أو ثقل عربي في هذا النظام، وغموض في مواقع القوى الإقليمية الثلاث الكبرى وأدوارها فيه (تركيا وإيران والكيان الإسرائيلي). وإن كان واضحا أن جميع هذه الأطراف تحاول أن توظف هذا التحالف الناشئ ليكون موجها ضد خصومها.

ولذا يمكن الادعاء أن الطرف العربي في التعاون الدولي/الإقليمي للحرب على داعش يبدو هو الحاضر الغائب (الحاضر شكلا، والغائب عن التأثير في مضمون السياسات الإقليمية والدولية تجاه المنطقة العربية) في ظل سيناريو متكرر من التعاون العربي مع الولايات المتحدة الأمريكية، الذي لم يفضِ سوى إلى إلحاق مزيد من الخسائر والدمار بالمنطقة العربية، والعبث بصورة أوضح بتركيبتها السياسية والسكانية والإثنية، وعبر دفعها إلى مزيد من الانقسام وتقسيم المقسم ، بعد أن تأخذ واشنطن ما تريده من الدول العربية (حرب تحرير الكويت ١٩٩١، وحرب احتلال

---

[٩] – المصدر نفسه.

[١٠] – المصدر نفسه.

العراق ٢٠٠٣، وحملة الناتو لإسقاط حكم القذافي عام ٢٠١١). وتكون النتيجة دائما هي المزيد من تأجيل القضية الفلسطينية حتى تلوح فرصة تصفيتها تماما.

وهذا مؤشر آخر وأخير يدل أن مؤتمر جدة لا ينفصل عن سياق دولي وعربي راغب في إنهاء أي أثر إيجابي للثورات العربية، عبر إغراق المنطقة بموجة جديدة من الحرب على الإرهاب، التي لا تنتهي واحدة منها حتى تنفجر أخرى . فهل يتعلم العرب الدرس أم تراهم في غيهم سادرين؟